فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله فان لم يتم
فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب فى الدنيا عن
مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نجا
المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذى لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار
والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذى ليس الدنيا
اكبر همه وذلك لا يتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده
الا بالغربة والخمول وقطع العلايق التى لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما
يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوى به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوى
عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلايق وعدمها فلا
يصده شىء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب
على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه
القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان الاجتهاد
والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة
فى الاعضاء فرب رجل قوى ذى مرة سوى شديد الاعصاب محكم البنية يستقل
بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان يتناول رتبته بممارسته
الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد تزيد فى قوته
زيادة ما وان كان لا تبلغه درجته فلا ينبغى ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا
فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة
من الفتن قال سفيان الثورى هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على
المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف فى موضع انتقل الى غيره وقال
ابو نعيم رايت سفيان الثورى قد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين
يا ابا عبد الله قال قد بلغنى عن قرية فيها رخص فاقيم بها فانه اسلم لدينك واقل
لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سرى السقطى يقول للصوفية اذا خرج الشتاء
فقد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم
فى بلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب
قادحا فى التوكل وسياتى اسرار الاعتماد على الاسباب فى كتاب التوكل

يريد ان اقيم بها بقليل وتخفف هذا قال نعم اذ الغلاء عن قرية ان فيها رخص صح

**القسم الرابع** السفر هربا مما يقدح فى البدن كالطاعون او فى المال كالغلاء او
ما يجرى مجراه فلا حرج فى ذلك بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع وربما يستحب
فى بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى

عند الطاعون



عند الطاعون فلا ينبغى له ان يفر منه لورود النهى فيه قال اسامة بن زيد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقى بعد
فى الارض فيذهب المرة ويأتى الاخرى فمن سمع به فى ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها
فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عايشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فنا
امتى بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة
البعير تاخذهم فى مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط فى
سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك
وان امراك ان تخرج من كل شىء هو لك فاخرج منه لا تترك الصلوة عمدا فانه من ترك
الصلوة عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانه مفتاح كل شر اياك والمعصية
فانها تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم
انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم بالله فهذه الاحاديث
تدل على ان الفرار من الطاعون منهى عنه وكذلك القدوم عليه وسياتى سر ذلك فى
كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى
محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه ك
الخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على
كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب
تتبين النية فى السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة
الداعية ولتكن نيته الاخرة فى جميع اسفاره وذلك ظاهر فى الواجب والمندوب و
محال فى المكروه والمحظور واما المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال
ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال والتصدق بما يفضل من مبلغ الحاجة صار
هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الريا والسمعة لخرج
عن كونه من اعمال الاخرة فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات عام فى الواجبات
والمندوبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر فى اخراجها عن كونها
محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملايكة ينظرون الى
مقاصدهم فيعطى كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطى منها ونقص من
اخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة
اعطى من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت
له الملايكة واستغفرت واما النظر فى ان السفر هو الافضل او الاقامة يضاهى النظر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)